مادة الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

د. ميسون محمد عبد الواحد

المحاضرة الثامنة

عنوان المحاضرة: (الشاعر متمم بن نويرة: شعره ، ومكانته ، وخصائص شعره)

أولاً- حياته وإسلامه ومكانته في قومه:

متمم بن نويرة بن عمر بن شداد من بني يربوع بن مالك بن تميم، كان يلقب بـ(الجفول) لكثرة شعره، وكان شاعرًا معدودًا في فرسان بنى يربوع في الجاهلية وأشرافهم. وكان من كبار بني يربوع من بني تميم، وصاحب شرف رفيع بين العرب، حتى ضرب به المثل في الشجاعة والكرم والمبادرة إلى إسداء المعروف والأخذ بالملهوف. وكانت له الكلمة النافذة في قبيلته.أدرك الإسلام وأسلم، وولاَّه النبى ﷺ صدقات قومه بنى يربوع، ولم يشترك مع من ارتد من قومه، لكن اسم متمم شاع بسبب قصائده الرائعة في رثاء أخيه مالك حين قتل مع مرتدي قبيلته، فأجاد أيّما إجادة ، فجعله ابن سلام في مقدمة طبقة أصحاب المراثي ، وذكر المقدمة من قصائده:

لَعَمْرِي ومـا دَهْـرِي بِتَـأْبِينِ مَالـكٍ ولا جَــزَعٍ مِمَّــا أَصَــابَ فَأَوْجَعَــا

فقد عدّ الاصمعي هذه القصيدة (أم المراثي) وقال المبرد: (ومن أشعار العرب المشهورة المتحيزة في المراثي قصيدة متمم بن نويرة). وقد قيل في بيته المشهور:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقــي لتــذرافِ الــدموع السـوافكِ

أرثى بيت قالته العرب، وأنه أبلغ ماقيل في تعظيم ميت . ولقد سارت مراثي متمم سير الأمثال ،وأخذت الركبان أشعاره ، وحفظها العرب وتمثلوا بها ويعود سر الإعجاب العظيم برثاء متمم الى الروح الرقيقة لمشاعره وانعكاسها في أشعاره ، والعاطفة القوية في أبياته. **وهناك ملاحظتان وجدناهما في شعر متمم وهي :**

الملاحظة الاولى : كثرة شعره الذي وصل إلينا على قافية العين ، فلا ندري سر إعجاب الشاعر بهذه القافية وهل لها وقع في شعر الرثاء خاصة أم أنها الصدفة ؟ ويمكن تفسيرها إيقاعيا بأن صوت العين يخرج من منتصف الحلق بعد الهمزة والهاء فكأنه غصة في الحلق وهذا المعنى يتناسب مع ما يعانيه الشاعر من فقده لأخيه الذي أورثه غصة في حياته كلها.

الملاحظة الثانية : وجود الإقواء في شعره وذلك أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة والأخرى مخفوضة أو منصوبة، وهذه الظاهرة وجدت في شعر الأقدمين وعدّها االنقاد من عيوب الشعر.

إلا أنهم تسامحوا مع شعراء البادية ولم يجيزوا ذلك لشعراء المدن والمولدين ؛ لأن البدوي لا يأبه فهو أعذر ؟

وتمثل قصيدته شعره الذي قاله بعد الإسلام تمثيلاً صادقاً ولأنها تعد امتداداً لشعره قبل الإسلام غير متأثر بابعاد الدعوة الإسلامية إلاّ ما يتعلق بمقتل أخيه مالك فقال:

لعمري وما دهري بتأبين مالكٍ و لا جَزِعاً مما أصابَ فأَوجعا

لقد كفّنَ المنهالُ تحت ردائهِ فتىً غيرَ مِبطانِ العشياتِ أروعا

وفي قصيدة متمم صفات يعرضها الشاعر بثياب بدوية اصيلة تابينا لاخيه ومنها قوله:

ولا بَرماً تهدي النساء لعرسه اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

فيصور متمم حسن خلق أخيه وسط شظف العيش ، فالبرد الذي يقسو على العربي في صحرائه يصوره متمم من خلال وصفه للجلد اليابس الذي يزيد تقعقعه إذا هبت الريح. وفي قصيدة متمم صورة بدوية جميلة تتمثل في قوله:

فعينيَّ هلاّ تبكيانِ لمالكٍ اذا أذرَتِ الريحُ الكنيفَ المرفَّعا

يعرض متمم في هذه الابيات صورة بدوية جميلة إذا راها افتقد أخاه فيها وزاد احساسه بالالم لفراقه. فمشهد الريح إذا اشتدت وقلعت ما حرص العربي على ثباته، فكرم العربي أيام الشتاء خاصة لأن شدة البرد والريح قد يتركان الكريم بخيلا لضيق

ذات يده بينما يرى مالك في هذه الأيام العصيبة أكثر جودا وكرما وإذا راى أسيرا طال أسره حتى يبست قيده على يدية افتقد مالكا فلو كان موجودا لفك أسره وافتداه.

ثانيا- خصائص شعره الفنية والموضوعية:

١-خلو قصائد شعره في الرثاء من المقدمات ، فلم يكن الشاعر مشغولا بالبناء الفني بقدر ما كان مشغولا بالتعبير عن حزنه وآلامه بمقتل أخيه.

٢-انشغل متمم بإضفاء صورة المتفرد على أخيه مالك فلم يكن أحد يشبهه في صفاته وخصاله التي تتجلى في المواقف الشديدة.

٣-تكرار المعاني في شعره بسبب إلحاحه الشديد والمستمر على تكرار خصال أخيه نحو الكرم والشجاعة وصور الموت والقبر الذي ضمه. والتكرار عنده هو لفظي في الغالب يكون في الألفاظ في أول الأبيات أو في البيت الواحد أو قد يكون تكرارا في الجمل.

٤-أما بخصوص الصور فقد رسم لنا صورتين: الأولى تتمثل برسمه لصورة مالك في إطار صورة كبيرة ثم تتفرع الى صور كثيرة جزئية في القصيدة الواحدة أو الموزعة في مجموع القصائد. وكل صورة تحمل صفة من صفات أخية التي تفرد فيها وانعدمت عند غيره. والصورة الثانية تمثلت برسم صورة الحزن على أخيه مالك وهو يشبه الجاهليين في رثائهم وبكائهم حين يتكئون على الليل والحمام والأبل في التعبير عن شدة حزنه ويذكر ما أصابه بفقد مالك.

٥- في إطار حزنه على أخيه فهو يختلف عن الجاهليين في رثائه فهو لا يتهم الدهر، ولا يعزي نفسه بأن الموت مصير الأحياء جميعا بل ينصرف عن ذلك الى التعبير عن طول بكائه وشدة حزنه.

٦-كانت لغته سهلة مؤثرة تحاكي روحه الباكية الحزينة سلسة رقيقة تنساب بسهولة كما تنساب دموعه.فهو دائم التذكار لأخيه وهو معه في يقضته ومنامه. يقول:

أرقتُ ونامَ الاخلياءُ وهاجني مع الليلِ همٌّ في الفؤاد وجيعُ

وَهيَّجَ لي حُزناً تذكُرُ مالكٍ فما نمتُ الا والفؤادُ مروع

لـذكرى حبيـب بعـد هـدءٍ ذكرتـهُ وقد حـان مـن تـالي النجـوم طلـوعُ

إذا رقـأت عينـايَ ذكرنـي بـه حمـامٌ تنـادى فـي الغصـونِ وقـوعُ